الفصل الثانى

الرّوح

لقد ورد لفظ « الروح » فى القرآن الكريم (٢١ مرة) بصيغة المفرد لخمسة أوجه ، وهى [١] :

١ - للدلالة على جبريل عليه السلام :

قال تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ، وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ [٣] .

فـ « أيدناه » و « أيدتك » بمعنى « قوّيناه » و « قوّيتك » ، و « الروح القدس » [٤] اختلف المفسرون فيه على قولين :

---

(١) د . عيسى عبده ، أحمد إسماعيل يحيى : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) جـ ٢ ص ١٢٦ - ١٢٩

الراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ٢٠٥

الحسين بن محمد الدامغانى : قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٢١٣

مجمع اللّغة العربية : معجم ألفاظ القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ٢٦٣

محمد إسماعيل إبراهيم : معجم الألفاظ والأعلام القرآنية (مرجع سابق) ص ٢١٣

(٢) البقرة : ٢٥٣ (٣) المائدة : ١١٠

(٤) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٢٣٥٩

- أنه الروح الطاهرة التى خص الله تعالى بها عيسى عليه السلام .

- أنه جبريل عليه السلام ، وهو الراجح [1] . لقوله تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[2] .

فـ « الروح القدس » جبريل عليه السلام ، بمعنى الروح المطهر ، كما أنه يقدس النفوس ، بمعنى يطهرها من الشرك [3] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ * نَزَلَ به الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِّى مُبِينٍ ﴾[4] .

فـ « الروح الأمين » فيه إضافة الموصوف إلى الصفة ، والمراد به جبريل عليه السلام ، أمين على ما ائتُمن عليه من الوحى [5] .

قال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لجبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [6] .

وقال تعالى : ﴿ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً ﴾ [7] .

فـ « روحنا » جبريل عليه السلام ، والإضافة للتخصيص ، والتشريف ، لقوله تعالى : ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً ﴾ لأنها لا يمكن لها أن ترى جبريل عليه السلام على صورته ، أو لأنها لا تطيق ذلك [8] .

---

(١) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (المرجع السابق) جـ ٣ ص ٢٣٦ .
الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٢ ص ٩١

(٢) النحل : ١٠٢

(٣) أبو السعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) جـ ٥ ص ١٤١

(٤) الشعراء : ١٩٢ - ١٩٥

(٥) أبو السعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) جـ ٦ ص ٢٦٤

(٦) البقرة : ٩٧ (٧) مريم : ١٧

(٨) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ٥ ص ٢١٢٩

وجبريل عليه السلام من الملائكة ، والله خلقهم من نور ، فهم من عالم غيبى غير محسوس [١] .

عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « خُلِقَت الملائكة من نور ، وخُلِقَ الجان من مارج من نار ، وخُلِقَ آدم مما وُصِف لكم » [٢] .

فالملائكة خلق من خلقه تعالى ، لا يستطيع الإنسان إدراكهم ، لأنهم ليسوا ممن تقع عليهم حواسه ، والإيمان بالغيب بهم ركن من أركان الإيمان .

عن عبد الله بن عمر عن أبيه قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يُرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبى ﷺ ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد ؛ أخبرنى عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : « الإسلام أن تشهد أن لا إلَهَ إلاَّ الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتُقيم الصلاة ، وتُؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً » ، قال : صدقت ، قال : فعجبنا له يسأله ويُصدِّقه ، قال : فأخبرنى عن الإيمان . قال : « أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقَدَرِ خيره وشره » ، قال : صدقت ... » الحديث [٣] .

٢ - للدلالة على صنف من الملائكة ، لهم مكانة وشرف ، أو جند من جنود الله تعالى غير الملائكة ، لم نعلم عنهم شيئاً :

---

(١) عفيفى عبد الفتاح طبارة : روح الدين الاسلامى ، ط ٦ ، توزيع دار العلم للملايين ببيروت ، لبنان ، ص ١٣٩

(٢) رواه مسلم فى كتاب الزهد ، حديث ٦٠ ، جـ ٤ ص ٢٢٩٤

(٣) رواه مسلم فى كتاب الإيمان ، حديث ١ ، جـ ١ ص ٣٦ - ٣٨

قال تعالى : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلاَئِكَةُ صَفّاً ، لاَ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلاَمٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ (٣) .

ولقد اختلف المفسرون فى المراد بـ « الروح » :

فقيل : إنه جبريل عليه السلام ، وأنه ذُكِرَ مع دخوله فى « الملائكة » للتعظيم والتشريف (٤) .

وقيل : إنه صنف من الملائكة لهم شرف ومكانة عند الله تعالى (٥) .

عن ابن عباس قال : « بينما جبريل قاعد عند النبى ﷺ سمع نقيضاً من فوقه ، فرفع رأسه ، فقال : هذا باب من السماء فُتِح اليوم ، لم يُفتح قط إلا اليوم ، فنزل منه مَلَك ، فقال : هذا مَلَكٌ نزل إلى الأرض ، لم ينزل قط إلا اليوم ، فسلَّم ، وقال : أبشر بنورين أُوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك ، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة ، لن تقرأ بحرف منها إلا أعطيته » (٦) .

كما جاء فى القرآن الكريم ذكر لأسماء بعض الملائكة :

---

(١) المعارج : ٤ (٢) النبأ : ٣٨ (٣) القدر : ٤ - ٥

(٤) الزمخشرى : الكشاف (مرجع سابق) جـ ٤ ص ٢١ ، ٢٧٣

(٥) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٥ ص ٣٧ .

(٦) رواه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين ، حديث ٢٥٤ ، جـ ١ ص ٥٥٤

قال تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوّاً للّه وَمَلاَئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَنَادَوْاْ يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ، قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ ﴾ (٢) .

- وقيل إن المراد جند من جنود اللّه غير الملائكة ، لم نعلم شيئاً عنهم (٣) .

عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال : « الروح جند من جنود اللّه ، ليسوا بملائكة ، لهم رؤوس ، وأيد ، وأرجل ، ثم قرأ ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلاَئِكَةُ صَفّاً ﴾ (٤) . قال : « هؤلاء جند ، وهؤلاء جند » (٥) .

واللّه أعلم بمراده ، وكل من هذه الأقوال تتحدث عما لا يمكن أن تقع عليه حواس الإنسان لتدركه .

وطريق المعرفة الحقيقية للغيبيات هو الكتاب والسُنّة الصحيحة ، والعقل لا ينفى وجود الملائكة ، ولا دخل له فى معرفتهم (٦) ، إلا بما ثبت عن الكتاب أو السُنّة ، لذلك يجب الإيمان بهم ، وإنكارهم كفر (٧) .

٣ - للدلالة على ما يتضمن القوة والتأييد من اللّه تعالى ؛ قال تعالى : ﴿ لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُواْ آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ، أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ، وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، رَضِىَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ، أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللّهِ ، أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٨) .

---

(١) البقرة : ٩٨ (٢) الزخرف : ٧٧

(٣) أبو السعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) جـ ٩ ص ٩٣

(٤) النبأ : ٣٨

(٥) رواه ابن أبى حاتم فى كتاب العظمة ، انظر : فتح القدير جـ ٥ ص ٣٧١

(٦) محمد المبارك : نظام الإسلام .. العقيدة والعبادة . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ص ١٢٨

(٧) حسن أيوب : تبسيط العقائد الإسلامية . دار النصر للطباعة الاسلامية القاهرة ، ط ٣ ، ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م) ص ١٨٤ (٨) المجادلة : ٢٢

فـ « أيدهم » بمعنى قواهم ، ونصرهم على عدوهم [١] .

و « روح منه » قيل : إن الله تعالى أرسل إليهم جبريل لنصرتهم ، وأن الإيمان سبب النصرة ، وقيل : بالقرآن والحجة [٢] ، أو أن القوة والتأييد من الله مباشرة بأمره تعالى ، وأن الإيمان سبب ذلك .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ، أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ، فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [٤] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ ، إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَلاَ تَقُولُوا ثَلاَثَةٌ ، انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ ، إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ، وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾ [٥] .

فـ « كلمته » قيل المراد بها بشارة الله لمريم [٦] في قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ [٨] .

---

(١) ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء) : تفسير القرآن العظيم . المكتبة التجارية الكبرى بمصر جـ ٤ ص ٣٢٩

(٢) الشوكاني : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٥ ص ١٩٣

(٣) يس : ٨٢ (٤) البقرة : ١٨٦ (٥) النساء : ١٧١

(٦) الشوكاني : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ١ ص ٥٤٠

(٧) آل عمران : ٤٥ (٨) التحريم : ١٢

وقيل إن المراد بـ « كلمته » الأمر الكونى المباشر من الله تعالى بـ « كن فيكون » [1] .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ، خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [2] .

و « روح منه » فـ « منه » متعلق بمحذوف وقع صفة للروح أى كائنة منه [3] . والإضافة للتفضيل والتشريف [4] كقوله تعالى :

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ، وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [5] .

وأن التفضيل والتشريف من الله تعالى منحه المعجزات ، لإثبات نبوّته وتقويته .

قال تعالى : ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [6] .

وقال تعالى : ﴿ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [7] .

---

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ٢ ص ٨١٧

(٢) آل عمران : ٥٩

(٣) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ١ ص ٥٤١

(٤) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ١ ص ٥٠٥ ، جـ ٣ ص ٣١٨

(٥) البقرة : ١٢٥ (٦) آل عمران : ٤٦ (٧) آل عمران : ٤٩

وإن جميع أرواح خلقه منه ، وإن كان المَلَك هو الذى ينفخ الروح لأن ذلك بأمره تعالى [١] .

وأنه من التشريف والتفضيل ، خصوصية عيسى عليه السلام فى أن يتولى نفخ الروح فيه جبريل عليه السلام ، لما له من منزلة عالية عند اللّه تعالى .

٤ - للدلالة على الوحى :

قال تعالى : ﴿ يُنَزِّلُ المَلاَئكَةَ بالرُّوحِ منْ أمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أنْ أنْذِرُواْ أنَّهُ لاَ إلَهَ إلاَّ أنَاْ فَاتَّقُونِ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو العَرْشِ يُلْقِى الرُّوحَ مِنْ أمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَلاَقِ ﴾ [٣] .

وقال تعالى : ﴿ وكَذَلِكَ أوْحَيْنَا إلَيْكَ رُوحاً منْ أمرِنَا ، مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ، وَإنَّكَ لَتَهْدِى إلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [٤] .

فالوحى فى اللّغة الإعلام الخفى ، ويتناول الإلهام الفطرى للإنسان ، أو الغريزى للحيوان [٥] .

قال تعالى : ﴿ وَأوْحَى رَبُّكَ إلَى النَّحْلِ أنِ اتَّخِذِى مِنَ الجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَأوْحَيْنَا إلَى أُمِّ مُوسَى أنْ أرْضِعِيهِ ﴾ [٧] .

والوحى شرعاً « إعلام اللّه تعالى مَنْ اصطفاه من عباده ، كل ما أراد اطلاعه عليه ، من ألوان الهداية ، والعلم ، ولكن بطريقة خفية ، غير معتادة للبشر »[٨] .

---

(١) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ١ ص ٥٤١

(٢) النحل : ٢ (٣) غافر : ١٥ (٤) الشورى : ٥٢

(٥) د . عبد المنعم النمر : فى علوم القرآن . دار الكتاب المصرى ، ط ١ ، ١٣٩٩ هـ ،ص ١٣-١٤

(٦) النحل : ٦٨ (٧) القصص : ٧

(٨) د . عبد اللّه شحاتة : علوم القرآن والتفسير . دار الاعتصام ، القاهرة ، ص ١٤

ويلاحظ أن كلمة « الروح » بمعنى الوحى يقترن معها فى كل آية جملة « من أمره » أو « من أمرنا » ، فمن المحتمل أن يكون كل أمر من الله تعالى روحاً منه ، والله أعلم .

قال تعالى : ﴿ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً ﴾ (١) .

لقد وردت هذه الآية فى سورة الإسراء ، فى سياق الحديث عن القرآن الكريم ، فالآيات التى قبلها تتحدث عنه .

قال تعالى : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ ، إنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً * وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إلاَّ خَسَاراً * وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَ بِجَانِبِه ، وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُساً * قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً ﴾ (٢) .

وإن الآيات بعدها تتحدث عن القرآن .

قال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ بِه عَلَيْنَا وَكِيلاً * إلاَّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ، إنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيراً * قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (٣) .

فهل يكون المراد بـ « الروح » القرآن ؟

بما أن ما قبل هذه الآية ، وما بعدها ، فى وصف القرآن الكريم فإنه من الأولى أن يكون المراد بـ « الروح » القرآن الكريم ، لتكون الآيات متناسبة متناسقة (٤) .

---

(١) الإسراء : ٨٥ (٢) الإسراء : ٨١ - ٨٤ (٣) الإسراء : ٨٦ - ٨٨

(٤) الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب . دار الفكر ببيروت ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ ، جـ ٢١ ص ٣٩ - ٤٠ .

عن الأعمش سليمان ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله بن مسعود قال : بينما أنا أمشى مع النبى ﷺ فى حر المدينة ، وهو يتوكأ على عسيب معه ، فمر بنفر من اليهود ، فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ، وقال بعضهم : لا تسألوه ، لا يجىء فيه بشىء تكرهونه ، فقال بعضهم : لنسألنه ، فقام رجل منهم ، فقال : يا أبا القاسم ؛ ما الروح ؟ فسكت ، فقلت : إنه يوحى إليه ، فقمت فلما انجلى عنه ، فقال : ﴿ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أمْرِ رَبِّى، وَمَا أُوتُواْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً ﴾ (١) . قال الأعمش : هكذا فى قراءتنا » (٢) .

ويقول ابن القيم : « إن أكثر السَلَف - بل كلهم - على أن الروح المسئول عنها فى الآية ، ليست أرواح بنى آدم ، بل هو الروح الذى أخبر الله عنه فى كتابه ، أنه يقوم يوم القيامة مع الملائكة ، وهو مَلك عظيم » (٣) .

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالمَلاَئِكَةُ صَفّاً ، لاَ يَتَكَلَّمُونَ إلاَّ مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً ﴾ (٤) .

عن الحسين بن محمد بن إبراهيم ، أنبأنا إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن السدى عن أبى مالك ، عن ابن عباس قال : بعثت قريش عُقبة بن أبى معيط ، وعبد الله بن أبى أُمية بن المغيرة ، إلى يهود المدينة يسألونهم عن النبى ﷺ ، فقالوا لهم : إنه قد خرج فينا رجل يزعم أنه نبى ، وليس على ديننا ، ولا على دينكم قالوا : فمن تبعه ؟ قالوا : سفلتنا ، والضعفاء والعبيد ، ومن لا خير فيه ، وأما أشراف قومه فلم يتبعوه ، فقالوا : إنه أظل زمان نبى يخرج ، وهو

---

(١) الإسراء : ٨٥ بلفظ : « أوتيتم .. »

(٢) رواه البخارى فى كتاب العلم ، باب قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً ﴾ (الإسراء : ٨٥) ، جـ ١ ص ٤٠

(٣) ابن القيم : الروح ، تحقيق محمد اسكندر بلدا . دار الكتب العلمية ببيروت ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ ، ص ٢٠٣

(٤) النبأ : ٣٨

على ما تصفون من أمر هذا الرجل ، فأتوه ، فاسألوه عن ثلاث خصال نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن فهو نبى صادق ، وإن لم يخبركم فهو كذّاب ، سلوه عن الروح التى نفخ اللّه تعالى فى آدم ، فإن قال لكم هى من اللّه ، فقولوا : كيف يُعذّب اللّه فى النار شيئاً منه ؟ قيل : فسأل جبريل عنها ، فأنزل اللّه عز وجل الآية ﴿ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ... ﴾ (١) .

فالحديث الأول يذكر أن الآية نزلت فى المدينة المنّورة ، أما الحديث الثانى فيذكر أن الآية نزلت فى مكة المكرمة ، قبل الهجرة ، كما يوضّح المراد بالروح ، « وقيل مثل هذا الإسناد - الحديث الثانى - لايُحتج به ، فإنه من تفسير السدى عن أبى مالك ، وفيه أشياء منكرة » (٢) .

وإذا كانت الآية نزلت بمكة المكرمة قبل الهجرة ، فتكرر السؤال نفسه ، فلا حاجة إلى أن ينتظر الرسول ﷺ الوحى ، لإجابتهم ، ولأجابهم مباشرة .

فهل يمكن أن نعامل الآية بالقاعدة المعروفة عند علماء التفسير ، وهى : تعدد أسباب النزول ، والحكم واحد (٣) .

بمعنى أن هنالك سؤالاً فى مكة المكرمة قبل الهجرة ، عن أرواح بنى آدم ، وآخر فى المدينة المنورة ، عن الروح فى قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلاَئِكَةُ صَفّاً ، لاَ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً ﴾(٤) .
أو عَن جبريل ، أو عن الوحى ، فيكون المَقصود بالروح في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ أرواح بنى آدم ، والروح الذى يقوم مع الملائكة يوم القيامة ، والوحى ، ولعل ذلك هو المراد للاختلاف فى تحديد ذلك ، واللّه أعلم .

---

(١) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٠٤

(٢) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٠٤

(٣) د . عبد المنعم النمر : علوم القرآن الكريم (مرجع سابق) ص ١٠٣ - ١٠٤

(٤) النبأ : ٣٨

مع أن علماء الحديث يُرجِّحون رواية البخارى ، لأنها أولى من رواية للترمذى [١] تتضمن أن الآية نزلت بمكة [٢] وأولى من الرواية السابقة والتى لم ترد فى كتب الصحاح أو السنَن .

٥ - ما يمثل ما يمنحه الله تعالى للإنسان ، أثناء الخلق ، وهو ما نحن بصدده :

قال تعالى : ﴿ وإذْ قَالَ رَبُّكَ للْمَلاَئكَة إنِّى خَالقٌ بَشَراً منْ صَلْصَال منْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فيه منْ رُّوحى فَقَعُواْ لَهُ سَاجدينَ ﴾ [٣] .

وقال تعالى : ﴿ إذْ قَالَ رَبُّكَ للْمَلاَئكَة إنِّى خَالقٌ بَشَراً منْ طينٍ * فَإذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فيه منْ رُّوحى فَقَعُواْ لَهُ سَاجدينَ ﴾ [٤] .

وقال تعالى : ﴿ الَّذى أحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإنْسَانِ منْ طينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ منْ سُلاَلَة منْ مَاءٍ مَهين * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فيه منْ رُّوحه وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأبْصَارَ وَالأفْئدَةَ ، قَليلاً مَا تَشْكُرُونَ ﴾ [٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّتى أحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فيهَا منْ رُّوحنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً للْعَالَمينَ ﴾ [٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عمْرَانَ الَّتى أحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فيه منْ رُّوحنَا وَصَدَّقَتْ بكَلمَات رَبِّهَا وَكُتُبه وَكَانَتْ منَ القَانتينَ ﴾ [٧] .

---

(١) د . عبد الله شحاتة : علوم القرآن والتفسير (مرجع سابق) ص ١١٩

(٢) سنن الترمذى كتاب تفسير القرآن ، باب : سورة الاسراء ، جـ ٤ ص ٣٦٦

(٣) الحجر : ٢٨ - ٢٩ (٤) سورة ص : ٧١ - ٧٢ (٥) السجدة : ٧ - ٩

(٦) الأنبياء : ٩١ (٧) التحريم : ١٢

والذى يجب أن يُعرف هو أن إسناد النفخ للّه تعالى ليس كإسناد النفخ للإنسان ، أو غيره ، قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ (١) مما قد يخطر على بال .

وإن أغلب تعريفات الروح - قديماً وحديثاً - إن لم أقل كلها لا تفرق بين الروح والنفس ، إنما تجعلهما مترادفتين كما سيأتى .

ولكن بملاحظة الآيات القرآنية ، التى وردت فيها كلمة « الروح » فيما يتعلق بخلق الإنسان ، نجد أنها تتعلق ببدء الخلق ، وأنها لم تأت فى مخاطبة الذات الإنسانية ، بينما لم ترد « النفس » إلا فى مخاطبة الذات الإنسانية (٢) ، وكذلك لم ترد كلمة « الروح » إلا مفردة ، بينما جاءت « النفس » مفردة ، وجمعاً (٣) .

« أما ذكر بعض الأحاديث النبوية للأرواح بصيغة الجمع ، فقد تعرَّض له الفقهاء ، وقالوا : إن الأنفس أصلها من الروح ، ومن ثَمَّ جاز تسمية الفرع بما يُطلق على الأصل من قبيل المجاز » (٤) .

وقد جاءت كلمة « الروح » فى القرآن الكريم فيما يتعلق بخلق الإنسان مقرونة بـ « نفختُ » ، و « نفخ » ، « نفخنا » غالباً .

---

(١) الشورى : ١١

(٢) د . عائشة عبد الرحمن : القرآن وقضايا الإنسان ، دار العلم للملايين ، ط ٤ ، ١٩٨١ م ص ١٨٠ ، ١٨٢

(٣) محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . دار ومطابع الشعب ، ص ٣٢٦ ، ٧١٠ - ٧١٤

(٤) د . عيسى عبده ، أحمد إسماعيل يحيى : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) جـ ٢ ص ١٨٨

والنفخ : نفخ الريح فى شئ [١] ، والنفخ يكون من الملَكَ بعد مرور (١٢٠) يوماً من عملية التلقيح كما سيأتى .

فهل يكون المقصود بـ « الروح » نفخة جبريل عليه السلام ، لأنه ريح يخرج منه ، بأمره تعالى ، كما قال ذو الرمة [٢] :

فقلتُ له ارفعها إليكَ وأحيها بروحك وأقته لها قيتة قدرا [٣]

« والعرب تسمى الشئ باسم الشئ إذا كان صادراً عنه [٤] ، وعلى ذلك يكون التعبير ب « الروح » عن النفس ممكناً مجازاً .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [٥].

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ، خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّتِى احْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [٧] .

فالضمير « فيها » يعود لأم عيسى عليه السلام ، فما المراد بـ « روحنا » هل هو روح عيسى عليه السلام ، أم الأمر الإلهى الكونى بأن تحمل أم عيسى عليه

---

(١) الراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن (مرجع سابق) ص ٥٠٠

(٢) الباهلى : شرح ديوان ذو الرمة ، تحقيق د . عبد القدوس الانصارى ، دار الايمان ببيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٢ هـ ، جـ ٣ ص ١٤٢٩

- ذو الرمة : غيلان بن علقمة (٧٧ - ١٧٧ هـ) من فحول الطبقة الثانية فى عصره ، وامتاز شعره باجادة التشبيه ، وأكثره تشبيب وبكاء أطلال .

خير الدين الزركلى : الأعلام (مرجع سابق) جـ ٥ ص ١٢٤

(٣) بروحك : بنفخك ، واقته قيتة : يأمره بالرفق والنفخ القليل فى النار وأن يطعمها حطباً قليلاً قليلاً .

(٤) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٢٠١٨

انظر : أبى السعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) جـ ١ ص ٢٥٦

(٥) يس : ٨٢ (٦) آل عمران : ٥٩ (٧) الأنبياء : ٩١

السلام ، وأنه بعد مضى (١٢٠ يوماً) من بدء الحمل ، جاء جبريل عليه السلام ، ونفخ فى عيسى عليه السلام الروح .

قال تعالى : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ (١) .

والضمير « فيه » يعود إلى الفرج ، والمقصود به ما فى الفرج ، وهو عيسى عليه السلام - الجنين - ، وإن التصديق تم بعد نفخ الروح فيه - بعد (١٢٠ يوماً) من بدء الحمل - وتبين الحمل ، فعلى ذلك بكون المراد بـ ﴿ نَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ﴾ الأمر الإلٰهى بالحمل لأم عيسى عليه السلام و بـ ﴿ نَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ﴾ الروح التى منحها اللّٰه تعالى لعيسى عليه السلام بعد مضى (١٢٠ يوماً) .

ومن هنا يترجح لدىً أن المراد بـ « الروح » الأمر الإلٰهى ، وهو أمر لطيف خفى عن الإدراك شأنه شأن الوحى ، والملائكة ، واللّٰه أعلم .

* * *

• خلق الروح بعد الجسد :

وعلى ما سبق تكون النفس - الروح مجازاً - قد حدثت بعد نفخ المَلَك بالنسبة لذرية آدم عليه السلام ، وذلك - أيضاً - لما يأتى (٢) :

١ - قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (٣) .

فإن اللّٰه تعالى قد نفخ فيه من روحه ، بعد خلق جسده ، ومن تلك النفخة حدثت النفس أو الروح مجازاً .

---

(١) التحريم : ١٢

(٢) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢١٦ ، ٢٣٧

(٣) الحجر : ٢٨ - ٢٩

٢ - قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾ (١) .

فمن هذه الآية نلمح أن النوع الإنسانى إنما خُلِقَ بعد خلق أصله .

٣ - قال تعالى لسيدنا زكريا : ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً ﴾ (٢) .

﴿ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً ﴾ بروحك وبدنك ، فهما المخاطبان .

٤ - قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُواْ ﴾ (٣) .

فالإنسان بروحه ، وجسده ، انما يُخْلق بعد خلق أبويه .

٥ - قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ، خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ ﴾(٥) .

وقال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ (٦) .

فهل المراد - بـ « وكَلِمَتُهُ » و « كَلِمَةٍ مِنْهُ » هى قوله تعالى : « كُنْ فَيَكُونُ » (٧) .

و « كن » تكون لجسده وروحه على الترتيب ، وهذا ما يتبادر إلى الأذهان عادة .

---

(١) النساء : ١ (٢) مريم : ٩ (٣) الحجرات : ١٣

(٤) آل عمران : ٥٩ (٥) النساء : ١٧١ (٦) آل عمران : ٤٥

(٧) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ٦ ص ٨١٧

٦ - عن عبد الله بن مسعود قال : حدثنا رسول الله ﷺ ، وهو الصادق المصدوق : « إن أحدكم يُجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون فى ذلك علقة مثل ذلك ، ثم يكون فى ذلك مُضغة مثل ذلك ، ثم يُرسَل المَلَك فينفخ فيه الروح ، ويُؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقى أو سعيد ... » (١) .

فالله تعالى يُرسل المَلَك فيُحدث الروح مجازاً - النفس - بنفخته فيه ، ولم يقل إنه تعالى أرسل ملكاً إليه بالروح ، فينفخها فى جسده (٢) .

٧ - إنه لو كان للروح وجود فى الملإ الأعلى ، قبل خلق الأجساد ، ولو كانت الروح عالِمة ناطقة لتذكرت وشعرت بذلك ، « فهب أن الجسم منعها من شعورها به على التفصيل والكمال ، فهل يمنعها عن أدنى شعور بوجه ما ، مما كانت عليه قبل تعلقها بالبدن ؟ ومعلوم أن تعلقها بالبدن لم يمنعها من الشعور بأول أحوالها ، وهى فى البدن ، فكيف يمنعها من الشعور بما كان قبل ذلك » (٣) .

قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٤) .

* * *

• خلق الروح قبل الجسد :

كما أن هناك من العلماء من قال بخلق الأرواح فى الملإ الأعلى قبل خلق الجسد ، ويأتى المَلَك بها إلى الجسد بعد خلقه ، لينفخها فيه ، وهذا الرأى يلزم عليه أن يكون الروح والنفس لفظين مترادفين .

---

(١) رواه مسلم فى كتاب القدر ، حديث ١ ، جـ ٤ ص ٢٠٣٦

(٢) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٣٧

(٣) ابن القيم الروح (مرجع سابق) ص ٢٣٦

(٤) النحل : ٧٨

وقد استدلوا بما يأتى :

١ - قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ، قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ، أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ (١) .

قالوا إن الاستنطاق ليس للأبدان وإنما للأرواح ، لتأخر خلق أبدان بنى آدم عن خلق آدم عليه السلام ، ولكن الله تعالى أخبر أن الحكمة من هذا الاستشهاد إقامة الحجة ، والحجة إنما قامت على ذرية آدم عليه السلام بالرسالة (٢) .

قال تعالى : ﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ، وكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ (٣) .

وإن ذلك « تمثيل لخلقه تعالى إياهم فى مبدإ الفطرة مستعدين للاستدلال بالدلائل المنصوبة فى الآفاق ، والأنفس ، المؤدية إلى التوحيد والإسلام ، كما ينطق به قوله ﷺ : « كل مولود يُولدَ على الفطرة ... » (٤) .

الحديث مبنى على تشبيه الهيئة المنتزعة من تعريفه تعالى إياهم لمعرفة ربوبيته ، بعد تمكينهم منها ، بما ركز فيهم من العقول والبصائر ، ونصب لهم فى الآفاق والأنفس من الدلائل ، تمكيناً تاماً ، ومن تمكنهم منها تمكناً كاملاً ، وتعرضهم لها تعرضاً قوياً بهيئة منتزعة من حمله تعالى إياهم على الاعتراف بها ، بطريق الأمر ، ومن مسارعتهم إلى ذلك ، من غير تلعثم أصلاً ، ومن غير أن يكون هناك أخذ ، وإشهاد ، وسؤال وجواب (٥) .

---

(١) الأعراف : ١٧٢

(٢) الزمخشرى : الكشاف (مرجع سابق) جـ ١ ص ٥٨٣

(٣) النساء : ١٦٥

(٤) رواه البخارى : كتاب الجنائز ، باب : ما قيل فى أولاد المشركين جـ ٢ ص ١٠٤

(٥) أبو المسعود : تفسير أبى السعود (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٢٩ ، وانظر أيضاً :
الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) جـ ١٥ ص ٥٣ - ٥٤
الزمخشرى : الكشاف (مرجع سابق) جـ ٢ ص ١٢٩
الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٢ ص ٢٦٢

كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ (١) .

١ - عن مسلم بن يسار الجهنى عن عمر بن الخطاب أنه سُئل عن هذه الآية فقال : سمعتُ رسول اللّه ﷺ يُسئل عنها فقال : « إن اللّه تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه حتى استخرج منه ذريَّةً فقال : خلقتُ هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذريَّةً فقال : خلقتُ هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون ... » (٢) .

لقد ورد هذا الحديث فى الموطأ فى باب القَدَر لا فى خلق الأرواح قبل الأجساد ، وإسناده منقطع حيث لم يلق مسلم بن يسار عمر بن الخطاب وهو مجهول ، والروايات الأخرى للحديث فى إسنادها رجال ضعفاء كنعيم بن ربيعة وهو مجهول (٣) .

٣ - ما رواه أبو عبد اللّه بن منده ، أخبرنا محمد بن صابر البخارى ، حدثنا محمد بن المنذر بن سعد الهروى (٤) ، حدثنا عن جعفر بن محمد بن هارون المصيصى ، حدثنا عتبة بن السكن ، حدثنا أرطأة بن المنذر ، حدثنا عطاء بن عجلان عن يونس بن حلبس (٥) ، عن عمرو بن عبسة قال : سمعتُ رسول اللّه ﷺ

---

(١) فصلت : ١١

(٢) رواه مالك فى الموطأ فى كتاب الجامع ، باب النهى عن القول بالقدر ، تحقيق أحمد راتب عرموش ، دار النفائس ، ط ٦ ، ١٤٠٢ هـ ، ص ٦٤٨

(٣) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢١٧ - ٢١٨

الذهبى : ميزان الاعتدال (مرجع سابق) جـ ٤ ص ١٠٨ ، ٢٧.

(٤) ولعله محمد بن المنذر بن أسد الهروى ، انظر : ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل ، دائرة المعارف العثمانية ، بالهند ، ١٣٧١ هـ ، ط ١ ، جـ ٨ ص٩٧

(٥) وهو يونس بن ميسرة بن حلبس ، وقد يُنسب إلى جده ، وهو ثقة عابد ، معمر ، مات سنة ١٣٢ هـ (ابن حجر : تقريب التهذيب ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار المعارف ببيروت ، ١٣٩٥ هـ ، ط ٢ ، جـ ٢ ، ص ٣٨٦

يقول : « إن الله خلق أرواح العباد قبل العباد بألفى عام ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » [١] .

ولكن علماء الحديث ضعّفوا هذا الحديث لأن إسناده غير صحيح لأن فيه « عتبة بن السكن » وقال الدارقطنى : إنه متروك الحديث ، وقال البيهقى منسوب إلى الوضع [٢] ، وفيه « أرطأة بن المنذر » وقال ابن عدى : بعض أحاديثه غلط [٣] ، وفيه « عطاء بن عجلان » وقال الذهبى : تركوه وكذّبه يحيى بن معين [٤] .

٤ - قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ [٥] .

فإن « ثم » للترتيب ، وأن الله تعالى قال : ﴿ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾ فالخلق سابق للأمر بسجود الملائكة لآدم عليه السلام ، فيكون المقصود بذلك الأرواح لا الأبدان لأنها حادثة بعد ذلك [٦] .

---

(١) رواه ابو عبد الله بن منده ، انظر ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢١٦

ولقد ورد حديث موضوع يماثله فى موضع الشاهد . انظر :

العراقى : تنزيه الشريعة ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله الصادق ، مطبعة عاطف ، مكتبة القاهرة ، ط ١ ، جـ ١ ص ٣٦٨

السيوطى : اللآلى المصنوعة فى الاحاديث الموضوعة ، المطبعة الادبية ، ١٣١٧ هـ ، ط ١ ص ١٩٩

(٢) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى : المغنى فى الضعفاء ، تحقيق د . نور الدين عتر ، دار المعارف بحلب ، ١٣٩١ هـ ، ط ١ ، جـ ١ ص ٤٢٢

(٣) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٣٢ ، ٢٣٣

الذهبى : المغنى فى الضعفاء (مرجع سابق) جـ ١ ص ٦٤

(٤) ابن حجر العسقلانى : تهذيب التهذيب ، حيدر آباد الدكن ، الهند ، ١٣٢٥ هـ ، جـ ٧ ص ٢٠٨-٢١٠

(٥) الأعراف : ١١

(٦) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٣١

وهذا مردود بأن خلق آدم عليه السلام وتصويره هو خلق وتصوير لذريته لأنهم من سلالته ، فهم يرثون الصفات الجسمية والعقلية والنفسية عنه عليه السلام [١] .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾ [٢] .

ولكن ما أطمئن وأميل إليه أكثر من استعراض هذه الأدلة هو أن الروح - مجازاً - أو النفس يكون خلقها بعد الجسد .

« ولو دل دليل على أن الأرواح خُلقت جملة ، ثم وُضعت فى مكان حية عالمة ناطقة ، ثم كل وقت تبرز إلى أبدانها شيئاً فشيئاً ، لكنَّا أول قائل به ، فاللَّه سبحانه على كل شئ قدير ، ولكن لا نخبر عنه خلقاً وأمراً إلا بما أخبر به عن نفسه على لسان رسوله ﷺ ، ومعلوم أن الرسول ﷺ لم يُخبر بذلك ، وإنما أخبرنا بما فى الحديث الصحيح : « إن أحدكم يُجمع خلقه فى بطن أُمه أربعين يوماً ، ثم يكون فى ذلك علقة مثل ذلك ، ثم يكون فى ذلك مضغة مثل ذلك ، ثم يُرسَل المَلك فينفخ فيه الروح ، ويُؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقى أو سعيد ... » [٣] .

فالمَلك وحده يُرسَل إليه فينفخ فيه ، فإذا نفخ فيه كان سبب حدوث الروح فيه ، ولم يقل يُرسِل إليه الروح فيُدخلها فى بدنه ، وإنما أرسل إليه المَلك فأحدث فيه الروح بنفخته فيه ، ففرق بين أن يُرسِل إليه مَلك ينفخ فيه الروح ، وبين أن يُرسل إليه روح مخلوقة قائمة بنفسها مع المَلك [٤] .

---

(١) الشوكانى : فتح القدير (مرجع سابق) جـ ٢ ص ١٩١

القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ٣ ص ٤ . ٢٦

(٢) النساء : ١

(٣) رواه مسلم فى كتاب القدر ، حديث ١ ، جـ ٤ ص ٣٦ . ٢

(٤) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٣٧

وأما الزعم بأن الروح أو النفس جوهر بسيط قديم ، مجرد عن المادة ، هبط من العالَم الأزلى إلى الجسد ، وأنها غريبة عنه ، وأنها تتعذب من حلولها فيه ، وأن الجسد سبب شقائها ، فهى مفتقرة إلى الطهارة ، والصفاء [١] فهو مجرد ضلال لا دليل عليه .

وهذا المذهب قديم ، ومن الفلاسفة القدماء الذين قالوا به « أفلاطون » [٢] ، و« فلوطين [٣] » [٤] .

وقال به بعض الزنادقة ، والروافض ، فيما يتعلق بأمر آدم عليه السلام ، كما قال به بعض النصارى ، والجهمية ، فى أمر عيسى عليه السلام [٥] .

واستدلوا بأدلة أهمها :

١ - إنه يلزم من كونها أبدية أن لا تكون حادثة ، لأن الحادث لا يمكن أن يكون أبدياً ، ومن هنا لزم أن تكون غير حادثة ، لأن الأدلة النقلية والعقلية على أبديتها ثابتة ، فيلزم أن تكون قديمة غير مخلوقة [٦] .

---

(١) د . سهير فضل الله أبو وافية : الفلسفة الإنسانية فى الإسلام . دار النهضة العربية . القاهرة ، ص ٦٩

(٢) أفلاطون : فيلسوف يونانى ، عاش (٤٢٨ - ٣٢٧ ق م) ، وله أكثر من ثلاثين محاورة فلسفية ، تتركز على الروحانيات ، والأخلاقيات ، وحارب الاتجاهات المادية .

(٣) فلوطين : فيلسوف يونانى ، ولد فى مصر ، وعاش فيما بين (٢٠٥ - ٢٧٠ م) وهو من مؤسسى المؤسسة الأفلاطونية المحدثة فى الإسكندرية فى النصف الأول من القرن الثالث للميلاد ، وأسس مدرسة جديدة فى روما ... وهى تجرى تعديلات على التعاليم الأفلاطونية بحيث تنجسم مع المفاهيم الأرسطوية والشرقية ، وتتصور العالَم فيضاً منبثقاً من الذات العليا ، التى تستطيع الروح الاتحاد بها فى حال الانجذاب الروحى .

انظر : منير البعلبكى : موسوعة المورد (مرجع سابق) جـ ٧ ص ١١٥

م . روزنتال وآخرون : الموسوعة الفلسفية (مرجع سابق) ص ٤٠ - ٤٢

(٤) د . عز الدين إسماعيل : نصوص قرآنية فى النفس البشرية . دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، ص ١٥٩

(٥) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ١٩٤ ، ١٩٦

(٦) سعد الدين التفتازانى : شرح المقاصد . مطبعة إستانبول ، ١٢٧٧ هـ ، جـ ٢ ص ٣٦

وهذا مردود لأن الحادث وإن كان قابلاً للعدم إلا أنه لا يلزمه إذا امتنع عدمه بمشيئة خالقه [١] ، وذلك كالجنة والنار .

قال تعالى : ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ، لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ، رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّى لَنْ يُجِيرَنِى مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً * إِلاَّ بَلاَغاً مِنَ اللَّهِ وَرِسَالاَتِهِ ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ﴾ [٣] .

والجنة والنار مخلوقتان ، فلم يلزم من حدوثهما عدمهما . وأبديتهما ليست لذاتهما ، ولكن لإرادة الحى القيوم .

٢ - قال تعالى : ﴿ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [٤] .

فالروح من أمره تعالى ، والأمر طلب ، فهو من جملة كلامه تعالى ، وكلامه غير مخلوق وقديم ، فتكون الروح كذلك [٥] .

وهذا مردود لأن المراد بـ « من أمر ربى » أى من فعله بلفظ « كن » ، فيكون حادثاً ، وليس « الروح » هو « كن » [٦] .

قال تعالى : ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ ، فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ

---

(١) سعد الدين التفتازانى : شرح المقاصد (مرجع سابق) جـ ٢ ص ٣٦

(٢) المائدة : ١١٩ (٣) الجن : ٢٢ - ٢٣ (٤) الإسراء : ٨٥

(٥) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٠٢ - ٢٠٣

(٦) الفخر الرازى : التفسير الكبير (مرجع سابق) جـ ٢١ ص ٣٩

آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنَ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ، وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾ (١) .

وقد جاء لفظ الأمر بمعنى الفعل .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَاتَّبَعُواْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ (٢) أى شأنه وحاله حتى أتخذوه إلهاً (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ (٤) .

فـ « أمرنا » بمعنى فعلنا . وهو الريح العقيم فأهلكهم الله عن آخرهم بها (٥).

فقوله تعالى : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ أى من فعله فهو حادث (٦) .

وقال تعالى : ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٧) وليس هو « كن » .

٣ - قال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ ، إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ ، انْتَهُواْ خَيْراً لَكُمْ ، إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ ، وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾ (٨) .

---

(١) هود : ١٠١ (٢) هود : ٩٦ - ٩٧

(٣) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن (مرجع سابق) جـ ٤ ص ٣٣٢١

(٤) هود : ٥٨

(٥) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (مرجع سابق) جـ ٢ ص ٤٥٠

(٦) الفخر الرازى : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (مرجع سابق) جـ ٢١ ص ٣٩

(٧) البقرة : ١١٧ (٨) النساء : ١٧١

فقوله تعالى : ﴿ كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ قالت بعض النصارى والجهمية : إن عيسى ابن مريم روح الله ، وكلمته من ذاته ، وكل منهما غير مخلوق [١] ، فجهلوا وضَلُّوا وأضلُّوا .

وهذا مردود لأن عيسى عليه السلام بكلمة « كن » كان ، وليس هو الكلمة ، فمن أمره تعالى كان الروح فيه ، وأن عيسى عليه السلام إن كان من أم دون أب ، فإن الله خلق آدم من دون أبوين ، ولم يكن لدى بعض النصارى له ذلك [٢] .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ، خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [٣] .

وإنما المسيح عبد لله ورسوله .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ﴾ [٤] .

وقال تعالى : ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ، وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً ﴾[٥].

٤ - قال تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [٦].

فالله تعالى أضاف الروح إليه ، وأسند النفخ إليه ، وذاته قديمة فتكون الروح قديمة[٧].

---

(١) د . عيسى عبده ، أحمد إسماعيل يحيى : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) جـ ٢ ص ١٥١

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن (مرجع سابق) جـ ٦ ص ٨١٧

(٣) آل عمران : ٥٩ (٤) النساء : ١٧١

(٥) النساء : ١٧٢ (٦) الحجر : ٢٩

(٧) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٠٧

وهذا - أيضاً - مردود لأن ما يُضاف إلى الله تعالى نوعان وهما [1] :

(أ) إضافة ما لا يقوم بنفسه كصفاته تعالى كالعلم والسمع والبصر والإرادة ... إلخ .

فهى صفات له سبحانه غير حادثة .

(ب) ما يمكن أن يقوم بنفسه ، كالناقة والرسول والروح ... إلخ .

قال تعالى : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً ، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ، هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ، فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ، وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ، وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ ، مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ ، وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [4] .

كما أضاف إليه تعالى الروح - جبريل - الذى أرسله إلى مريم .

قال تعالى : ﴿ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً ﴾ [5] .

فهذه الإضافة إضافة مخلوق لخالقه ، للتخصيص ، والتشريف ، لا تدل على قِدَمِه [6] .

* * *

(١) ابن القيم : الروح (مرجع السابق) ص ٢٠٨ - ٢١٠

(٢) الأعراف : ٧٣ (٣) النساء : ١٥٧

(٤) سورة ص : ٧٢ (٥) مريم : ١٧

(٦) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٠٩

• إجماع المسلمين على أن الروح حادثة :

لقد أجمع المسلمون على أن الروح حادثة إذ لا قديم عندهم إلا اللّه تعالى وصفاته . وذلك معلوم من الدين بالضرورة [١] .

وحكى الإجماع الإمام ابن قتيبة فى قوله : « النسم : الأرواح ، وأجمع الناس على أن اللّه تعالى هو فالق الحبة وبارىء النسمة أى خالق الأرواح »[٢].

فـ « إن النفوس الإنسانية سواء جعلناها مجردة أو مادية حادثة عندنا لكونها أثر القادر المختار » [٣] .

وقد سبق أن ذكرتُ الكثير من الأدلة القرآنية على ذلك ، ولا داعى للتكرار وإنما نذكر هنا شيئاً من الأحاديث الصحيحة التى وردت فى ذلك .

عن عمران بن حصين رضى اللّه عنهما قال : دخلتُ على النبى ﷺ وعقلتُ ناقتى بالباب ، فأتاه ناس من بنى تميم فقال : « اقبلوا البُشرى يا بنى تميم » قالوا : قد بشَّرتنا فأعطنا - مرتين - ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال : « اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم » قالوا : قبلنا يا رسول اللّه . قالوا : جئناك نسألك عن هذا الأمر . قال : « كان اللّه ولم يكن شىء غيره ، وكان عرشه على الماء وكتب فى الذكر كل شىء وخلق السماوات والأرض »[٤] .

وعن عائشة رضى اللّه عنها قالت : سمعتُ النبى ﷺ يقول : « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » [٥] والجنود المجندة لا تكون إلا حادثة [٦] .

* * *

---

(١) ابن القيم : الروح (مرجع السابق) ص ١٩٥

د . محمد غلاب : مذكرات فى الفلسفة الاسلامية ، طبع ١٩٣٨ م ، ص ١٥٩

(٢) ابن قتيبة : الاختلاف فى اللفظ . مطبعة القدس ، ١٣٤٩ هـ ، ص ٦٩

(٣) سعد الدين التفتازانى : شرح المقاصد (مرجع سابق) جـ ٢ ص ٣٦

(٤) رواه البخارى فى كتاب بدء الخلق ، باب قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ ، جـ ٤ ص ٧٣

(٥) رواه البخارى فى كتاب بدء الخلق ، باب الأرواح جنود مجندة ، جـ ٤ ص ١٠٤

(٦) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ١٩٤

• ليست الروح سر الحياة :

لقد ذهب بعض العلماء إلى أن المراد بـ « الروح » سر الحياة الذى وهبه الله تعالى للإنسان [١] وذلك مرجوح لما يأتى :

١ - إن هذا المعنى لم يرد فى القرآن الكريم [٢] كما سبق .

٢ - إن سر الحياة أمر مشترك بين الإنسان والحيوان ، ولا يستحق بذلك سجود الملائكة ، وأن يجعله المؤمنون خصوصية لآدم عليه السلام ترشحه لمقام الشفاعة ، وكذلك لا يعود الإحساس بحسن الحسن ، وقبح القبيح الذى تطرب له النفس أو تشمئز منه إلى سر الحياة [٣] ، حيث إن هذا السر يملكه غيره من الحيوانات والطيور .

٣ - إن الملك ينفخ الروح بعد نمو الجنين فى اليوم (١٢٠) منذ بدء عملية التلقيح بين الحيوان المنوى ، والبويضة ، وهو يتصف بالحياة من قبل ذلك [٤] .

عن عبد الله بن مسعود قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق : « إن أحدكم يُجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون فى ذلك علقة مثل ذلك ، ثم يكون فى ذلك مضغة مثل ذلك ، ثم يُرسل الله تعالى الملك فينفخ فيه الروح ، ويُؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقى أو سعيد ... » [٥] .

وبعد نفخ الروح وكتابة الأربع كلمات تتحقق إنسانية الجنين مع أنه يتصف بالحياة قبل ذلك ، وبهذا نُدرك أن الروح - مجازاً - أو النفس غير سر الحياة .

---

(١) د . عيسى عبده ، أحمد إسماعيل يحيى : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) جـ ٢ ص١٦٧

(٢) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٢٩

(٣) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ٢٣

(٤) محمد سلامة جبر : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) ص ٤٤ - ٤٥

(٥) رواه مسلم فى كتاب القدر ، حديث ١ ، جـ ٤ ص ٢٠٣٦

ومن هنا وقع الإجماع على حُرمة إسقاط الجنين بعد النفخ (مضى ١٢٠ يوماً على الحمل) ، واختلفوا قبل ذلك [١] .

٤ - قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ، فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [٢] .

فالله تعالى يقبض الروح - مجازاً - أو النفس حال النوم ، ويردها عند اليقظة [٣] ، والنائم ليس ميتاً ، وإنما يتصف بالحياة ، وبهذا ندرك أن الروح ليس هو سر الحياة .

٥ - إن من الثابت طبياً للقيام بعملية زرع لجزء معين فى جسم إنسان أن يكون الجزء المراد زرعه حياً ، حتى يمكن للعملية النجاح .

وبهذا هل يكون هذا الجزء الحى ، يحمل معه جزءاًمن روح ذلك الإنسان الذى أُخذَ منه ، فينقص جزء من روحه ، هل يُضيف هذا الجزء جزءاً من روحه إلى الإنسان الذى زُرِع فيه ، هذا غير واقع ولا مُشاهَد [٤] .

وبهذا يتضح أن الروح - مجازاً - النفس - العنصر الخالد فى الإنسان الذى استأثر الله تعالى بعلمه ، ولا قدرة للعقل البشرى على إدراكه ، لأنه ليس مما تقع عليه حواسه ، ولكنه يَدرك أثره كالكهرباء والأثير ، فهما مما يؤمن بهما ، وإن لم تقع عليهما الحواس ، لأنه أدرك أثرهما [٥] .

---

(١) محمد سلامة جبر : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) ص ٤٤

(٢) الزمر : ٤٢

(٣) ابن القيم : الروح (مرجع سابق) ص ٢٤٠

(٤) محمد سلامة جبر : حقيقة الإنسان (مرجع سابق) ص ٤٨

(٥) عبد الرحمن العيسوى : لماذا أنا مسلم ، مكتبة وهبة ، القاهرة ط ٤ ، ص ٢٠

عبد الكريم الخطيب : الدين . دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠١هـ (١٩٨١ م) ص ٣٨

والإيمان بالغيب ركن من أركان الإيمان .

قال تعالى : ﴿ الٓمٓ * ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ، هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (٢) .

« وإن الإيمان بالروح - مجازاً - أو النفس لم يفرض على العقل البشرى فى القرآن الكريم نقيضة من النقائض ، التى تشطره بين ضدين متدابرين ، ولم يفصم النفس البشرية بفاصم من الحيرة بين الخلقتين : خلقة الإنسان روحاً مجهول القوام ، وجسداً معروف المطالب والغايات ، محسوس اللّذات والآلام » (٣) .

و « إن القرآن الكريم بهذا الإلهام الصادق ينقذ العقل من نقائص التفكير ، ولا ينجيه من نقائض التكليف وحسب ، أو من نقائض الحيرة بين العالمين فى حقائق الدين ، ولا مزيد » (٤) .

والإنسان خليفة اللّه فى أرضه ، خلقه من مادة هذه الأرض ، حتى يستطيع التعامل معها ، ولكن لا بد أن يكون للخليفة شىء من صفاته تعالى ، ليقوم بمهام الخلافة كالعلم ، والإرادة ، والحكمة ، والعدل ... إلخ ، وإن هذه الصفات هى التى أعطت الإنسان طاقة المعرفة ، والابتكار ، والتعمير ، حتى يتمكن من القيام بما أُسند إليه (٥) .

فالروح الذى ينفخه المَلك بأمره تعالى فى الإنسان - كما سبق - هو الذى

---

(١) البقرة : ١ - ٣ (٢) الملك : ١٢

(٣) عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ٢٣

(٤) المرجع السابق ص ٢٥

(٥) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق ص ٤٩ - ٥٠)

أبو الأعلى المودودى : الحكومة الإسلامية تعريب أحمد إدريس . المختار الإسلامى ، ط ١ ، ١٣٩٧ هـ ، ص ٨٣

منحه هذه الصفات والقدرات التى أهّلته للخلافة ، وقررت أهدافه ، وغاياته ، ومناهجه وزرعت فيه المبادىء والقِيَم [١] .

وبهذه الصفات التى حصل عليها الإنسان من الله تعالى تأهل لحمل أمانة التكليف .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ [٢] .

فالإنسان « ظلوم لأنه يتعدى الحدود وهو لا يعرفها ، وجهول لأنه يتعدى تلك الحدود وهو لا يعلمها ، وعنده أمانة العقل التى تهديه إلى عملها ، وما من كائن غير الكائن العاقل يوصف بالظلم والجهل لأنه لا يعرف الحد الذى يتعداه ، ولا تُناط به معرفة الحدود ، وإنما يُوصَف بالظلم والجهل من يصح أن يُوصَف بالعدل والمعرفة [٣] .

وهذه القدرات والامكانيات هى التى جعلت للإنسان قيمة كإنسان قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ » [٤] .

* * *

(١) البهى الخولى : آدم عليه السلام (مرجع سابق) ص ٣٣

(٢) الأحزاب : ٧٢

(٣) عباس محمود العقاد : الإنسان فى القرآن (مرجع سابق) ص ٣٤

(٤) الإسراء : ٧٠